الأندية الشعبية

وأثرها فى رفع المستوى الاجتماعى

للأستاذ زكى بدوى

مقدمة تاريخية :

لقد شاهد النصف الثانى من القرن التاسع عشر نمو روح التذمر بين كبار المفكرين بسبب الظروف المؤلمة التى كانت سائدة بين العمال من السكان ، وقد تمنت أغلبيتهم أن يسن تشريع ملائم للضرورات الاجتماعية الحديثة لكى يعالج هذه الحالة ولكن من كانت تجاربهم غنية عرفوا أنه لا القوانين ولا الإحسان ، كما كان يمارس فى ذلك الوقت ، بقادرين على ادخال أى تغيير ملموس على الافراد الذين يعيشون فى بؤس شديد وصعوبات دائمة ، نظرا لعبوديتهم الناشئة عن مشاغلهم المادية ، وعندما اشتد هذا القلق أفضى بالضرورة الى نتائج وأوجد مشروعات عديدة كانت بينها الاندية الشعبية .

يقصد بالاندية الشعبية ما يسمونه Settlements بانجلترا وأمريكا ، وما يطلقون عليه Centres Sociaux بفرنسا وهى ايضا تسمى منازل الشعب بهولندا Maisons du Peuple ويرجع أصل هذه الأندية الى كانون بارنت فقد أسس نادى "توين بى هول" بعد أن اظهرت له مهمته الطويلة التى كان يقوم بها بهويت شابل أحد أحياء لندن الفقيرة أن احسن وسيلة لمساعدة الفقراء لا تقتصر على الحياة لأجلهم ولكن معهم . وفى سنة ١٨٨٤ فتح لسكان الحى منزلا سكن به بصحبة زوجته ومع اختلاطهما بالسكان أحسنا فهم حاجاتهم ومطامحهم فساعدوهم على استعمال أوقات فراغهم وتحسين صحتهم وعلى التغلب على صعوبات الحياة اليومية .

قامت بعد ذلك جان ادامز ، وهى أعلم الشخصيات المشتغلة بالخدمة الاجتماعية بامريكا ، فاسست نادى "هل هوس" بشيكاجو ثم أسس "ليايان والد" نادى شارع هنرى نيويورك . وفى فرنسا أنشأت جان باسو ناديا شعبيا بايتالوا بعربه كما اسس فيوليه نادى الطاحونة الخضراء بباريس . ومن ثم انتشرت هذه الاندية فى جميع انحاء العالم ، فكانت مستوصفات اجتماعية ومقرات للمشتغلين بالخدمة الاجتماعية وأندية للمحرومين والمنعزلين ومعاهد للتقدم البشرى .

تعريف الأندية الشعبية :

عرفت "جان ياسو" الاندية الشعبية بأنها ليست مؤسسات مساعدة ، ولا جماعات من الشبان ، ولا مدارس للراهقين ، ولا معاهد للصحة ، ولا اندية للرياضة ، ولا مراكز للتسلية ، ولكنها تجمع كل أولئك وأكثر منه . إنها أمكنة اللقاء التى يجتمع فيها اناس من جميع الاسنان ومن جميع درجات التعليم ومن جميع الطبقات لكى يجمعوا ثقافاتهم أو رغبتهم فى التعليم أو تجربتهم أو جهلهم تحت صداقة حقيقية ، فيدرسون المشاكل السائدة ويعملون نحو غرض واحد ، لقد ولد النادى الشعبى من عاطفة الاخوة البشرية لا من رعاية فريق من المحسنين ،

وقد قالت "مادلين جوجيه" عن النادى الشعبى " انه قبل كل شىء منزل صداقة حيث يجتمع فيه دائما المتطوعون ، يعيشون وسط العلائلات كما يعيش سكان الحى فيعرفون حاجاتهم مهما خفيت ، ويحاولون خدمتهم ، ويبذلون كل ما فى وسعهم الى هؤلاء الذين أقبلوا عليهم ليتخذوا منهم أصدقاء .

ليس النادى الشعبى مؤسسة واحدة ، ولكنه عدة مؤسسات وخدمات غرضها مساعدة الأسرة وانتشالها فى الأوقات العصيبة ، ثم السير بها شيئا فشيئا نحو إشعارها بكرامتها وبقيمتها وتعويدها أن تكفى نفسها بنفسها .

وليس هذا النادى أيضا بمؤسسة للساعدة فلا تعطى به صدقة . ولكن تدرس أسباب الفاقة البدنية والأخلاقية ثم تبذل كل محاولة ممكنة لمعالجتها بجميع الوسائل ، ودعائم الأندية الشعبية هى الأسرة والثقة والصداقة .

فالأندية الشعبية هى على العموم عبارة عن كائن متحرك ، ولذلك صعب تعريفها لأن الحياة تعبر عن نفسها ولا تستطيع أن تعرف نفسها .

نشاط الأندية الشعبية :

بينما يقوم أغلب منشآت المساعدة والتعليم بعمل محدود موجه نحو جمهور خاص ، اذ بالنادى الشعبى يشمل جميع نواحى النشاط المختلفة ويقبل جميع طبقات الجمهور . قد يلوح أن فى هذا الاختصاص الواسع مبالغة ولكنه فى الواقع يتمشى مع المنطق ، فما دامت الحياة واحدة رغم مظاهرها المركبة ، فلا يكون أى عمل منتجا أو ذا أثر إلا اذا سار حتى أصول الأفراد وتوصل الى مصدر المشاكل . لذلك كان شعار الأندية الشعبية إصلاح الحياة بالحياة .

يهتم النادى الرياضى بتعليم الرياضة ، والمعهد الموسيقى بتعليم هذا الفن وحده ، وتستقبل رياض الأطفال ومعسكرات الشباب أفرادا من سن معينة . وكذلك تتجه الجمعيات الدينية والسياسية والنقابات نحو طبقة خاصة دون أخرى .

أما الأندية الشعبية فلا تتخصص، واذا كان برنامجها الانسانى يتشدد فى وضع مبادئ عن النظام والأسرة والوطنية فانها تظل مفتوحة للجميع وتوجه جهودها فى جميع الميادين التى يمكن أن تستفيد منها .

ليس النادى الشعبى مجموعة جهود متعددة ، ولكن هذه الجهود متداخلة كلها بعضها فى بعض ووسيلة حية للإصلاح مكونة من ثلاثة جوانب فردية وأسرية واجتماعية .

إنه لا يرى الفرد كمسألة قائمة بنفسها ، بل يضعه فى بيئته ، فالمسائل المتعلقة بالصحة والعمران ونظام العمل وتنظيم أوقات الفراغ والحالة الخلقية يتداخل بعضها فى بعض حتى يتعذر تعيين حدود ثابتة لها . وحتى اذا اضطر النادى الى الاستعانة ببعض الاخصائيين لمعالجة كل مشكلة ، فان تعاونهم هو الذى يؤدى إلى حلها .

ليس للا ندية الشعبية برنامج محدد ، وما دام غرضها الوحيد هو الخدمة العامة فهى تنسجم مع كل بيئة ، فتبحث فى كيف يمكنها أن تكون مفيدة حقا . وفى البحث المقرون بالمحبة يجد الانسان دائما ما يبحث عنه .

وتتعدد أنواع الأندية الشعبية وفقا لكل عصر ولكل أمة. فقد نشأت أندية شعبية مختلفة بعضها عن بعض ، ففى بعض الممالك الزراعية قامت هذه الأندية فى الريف وعملت على تنظيم دروس فى الزراعة وفلاحة البساتين كما أنشأت مستوصفات . وفى المدن الصناعية قامت الأندية الشعبية باعطاء دروس صناعية لصغار الصناع واهتمت برعاية الأطفال الرضع والأولاد والمراهقين ، كما أنشأت ملاعب للرياضة ورياض للأطفال ومكاتب للمطالعة الى غير ذلك .

وكانت هذه الأندية تراعى فى كل ذلك وقبل كل شىء حالة السكان الذين تتوجه اليهم لأنها ليست بشىء مادى ولكنها عبارة عن كائن متحرك .

أغراض الأندية الشعبية :

يصعب علينا أن نحصر الأغراض التى تعمل الأندية الشعبية على تحقيقها، ولكن يمكننا أن نلخص المبادئ العامة التى تسعى لتحقيقها بشتى الطرق فيما يلى :

١ — العمل للترفيه عن الشعب باستخدام النادى مكانا للسمر البرىء وشغل أوقات الفراغ بتهيئة العاب التسلية كالبنج بونج والشطرنج والطاولة ، والألعاب الرياضية كالملاكمة والمصارعة ورفع الأثقال ، وإذا وجد متسع من الأرض فيخصص مكان لكرة القدم وكرة السلة كما تخصص قاعة لمطالعة الصحف وقراءة الكتب، وأخرى لسماع الراديو والفونوغراف وثالثة لدروس القراءة والكتابة .

تكون بجانب ذلك وفقا لميول الأعضاء فرق للموسيقى أو التمثيل أو الكشافة أو الرحلات وتقام حفلات رياضية وحفلات سمر شهرية أو أسبوعيـة يقوم أعضـاء النادى بالجانب الأكبر منها .

٢ — العمل على مساعدة سكان الحى بطرق مختلفة منها الزيارات المنظمة للمنازل التى تقوم بها الزائرة الصحية لمساعدة الأمهات فى ظروف خاصة كالوضع والعناية بالطفل وتنظيف المنزل وإعداد الطعام للأسرة أثنـاء هذه الفترة وكالعناية بالأطفال المرضى وأخذهم للمعالجة فى المستشفيات العامة .

وعلاوة على ذلك تقوم الزائرة الصحية فى الأحوال العادية بإرشاد الأمهات فى كل ما يتعلق بالتدبير المنزلى والمشاكل العائلية والمسائل التى تمس نظام الأسرة كإرشاد الوالدين الى طرق ضبط النسل للتخفيف من الذرية الكثيرة .

وكذلك تهتم الأندية الشعبية بتلقين أعضائها طرق العناية بالصحة بمحاضرات ودروس عملية، كما أنها تحتفظ بسجل بأسماء العيادات والمستشفيات المجانية فى المنطقة لإرسال مرضاها اليها .

وتحاول بعض هـذه الأندية أيضا حل مشكلة البطالة بين العمال كما تخصص جانبا من وقتها لتوجيه الأولاد الى الصناعات المختلفة .

٣ — العمل على رفع المستوى الفكرى، وذلك بإعداد دراسات ليلية ذات برنامج خاص يرمى الى توسيع مدارك أفراد الشعب وتثقيفهم دون أن تتخذ هذه الدراسات شكلا مدرسيا قد لا يستسيغه البالغون الذين يصرفون أغلب نهارهم فى العمل المرهق .

وترتيب محاضرات لتبسيط المشاكل التى تمس الطبقات الفقيرة كالعناية بالأسرة وتربية الأبنـاء والعمل على بث الأخلاق بينهم وترغيبهم فى الاطلاع على أساليب الحكم المحلى ونظم الدولة ، وتقريب أوجه النظر بينهم وبين الذين يعملون لهم .

ولا تعنى الدروس والمحاضرات فى الأندية الشعبية قيـام أساتذة ممتازين بالمعرفة يأتون لمجرد تأدية واجب فيلقون علمهم المتحوم المشبع بروح الكتب، البعيد عن الحيـاة. ولكن يضم النادى أصدقاء يتبادلون بروح أخوية ثرواتهم العقلية . والواقع أن كثيرا ممن يعطون علمهم يحصلون أكثر مما أعطوا .

٤ — العمل على درس مشاكل الحياة بين الطبقات الفقيرة فى الأمة ، وهى مشاكل لا تتيسر دراستها بغير الاتصال الشخصى وفى جو من الثقة المتبادلة والاخلاص بين الاخصائى الاجتماعى وأفراد الطبقة التى يعمل بينها ، وتمكن هذه الدراسات الاخصائى الاجتماعى من الحصول على وجهات نظر فى الحياة عظيمة الأهمية ؛

ودرس العوامل القوية المؤثرة فى حياة الأمة وخاصة فى طبقاتها الفقيرة التى لها أعظم الأثر فى توجيه هذه الجماعات فى حياتها الاقتصادية والفكرية والسياسية ، ثم العمل على تحديد الأهداف التى يحاول النادى تحقيقها إزاء هذه القوى والعوامل المؤثرة فى الأفراد والجماعات .

الأندية الشعبية فى مصر :

أنشئت بمصر فى أول الأمر عدة مؤسسات أجنبية تقوم ببعض مهام الأندية الشعبية. ثم فكر عدد من المصريين المهتمين بالاصلاح الاجتماعى فى إنشاء ناد شعبى بالقاهرة ونفذوا فكرتهم سنة ١٩٣١ واختاروا لناديهم مكانا فى حى الطيبى بالسيدة زينب وأطلقوا عليه "محلة الرواد" .

وكانت أولى العقبات التى اصطدمت بها المحلة هى إعداد العضوية . فحصرها الرواد فيمن كانت سنهم بين الثانية عشرة والعشرين . وكان هؤلاء يظنون أن الرواد جماعة من المبشرين أو جماعة سياسية حكومية تطلب تعضيد الشعب ، الى أن اتضح لهم من وقائع الحال استحالة هذه الأغراض .

رتب الرواد بالمحلة برنامجا للالعاب الرياضية التى تمارس فى حيز ضيق كرفع الحديد والمصارعة والملاكمة والبنج بونج ، وآخر يشمل التعاليم الصحية ، والأحاديث فى التاريخ الوطنى وفى بعض المعلومات العامة التى تصادف الأفراد فى حياتهم اليومية .

وأنشأ الرواد كذلك ما يشبه مدرسة ليلية تعلم مبادئ القراءة للأميين ، ثم فصلا آخر لغيرهم حتى لا ينسوا القراءة والكتابة ، كما كانوا يتلقون أيضا مبادئ الحساب والرسم .

وإلى جانب هذا يعمل الأطباء من الرواد على علاج أمراض الأعضاء وذوى قرباهم ، غير أن أبرز ناحية فى عمل الرواد هى الصداقة التى نشأت بين أعضاء المحلة والرواد ، فقد كان لتلك الصداقة أثر كبير فى تغيير وجهة نظرهم فى الحياة وفى رفع مستواهم الفكرى .

وقد اتجهت نية الحكومة أخيرا إلى الاصلاح الاجتماعى وخاصة فى محيط الطبقة العاملة التى تحتاج الى معونتها ، لذلك تضمنت ميزانية وزارة الشؤون الاجتماعية مبلغ عشرة آلاف جنيه لإنشاء مركز اجتماعى للعمال بالقاهرة ، كما طلب أيضا صاحب المقام الرفيع على ماهر باشا رئيس الوزراء من سعادة محمد حسين باشا محافظ الاسكندرية أن يسعى فى إنشاء ناد للعمال فى هذه المدينة يضم الناهضين منهم ويسهل لهم بعض سبل الحياة .

وقد أخذ سعادته فى البحث فى هذا الأمر وما يجب اتخاذه من التدابير لتنفيذه ، وينتظر إنشاء ناديين فى المناطق التى يكثر فيها العمال كمنطقة الحضرة والظاهرية .

ويشمل مشروع النادى إنشاء مطعم وجناح للاستحمام، ومكتب وملعب مع إيجاد ما يلائم العمال من وسائل الثقافة والتهذيب .

وأغلب الظن أن المطعم والحمامات ستكون على غرار المرافق التى أنشئت بمؤسسة عمال سكة حديد الرمل الكهربائية بمصطفى باشا ، غير أن هذه لا ينتفع بها العمال إلا أثناء عملهم ، كما أن صالة العاب التسلية والبلياردو والبنج بونج لا تستعمل إلا فى الحفلات، فضلا عن أنها أنيقة جدا بحيث يشعر العامل بأنها غريبة عنه، وعلاوة على ذلك فليس هناك اخصائى اجتماعى لإدارتها والإشراف عليها .

فكل منا يرجو من صميم قلبه سرعة تحقيق هذا المشروع وتعميمه حتى يستفيد منه أكبر عدد من العمال ، فهذه الطبقة فى حاجة شديدة الى الرعاية والاهتمام ما

زكى بدوى

أستاذ بمدرسة الخدمة الاجتماعية

— آس ثم انصح .

— الطلاق حلال عليه بشاعة الحرام ، وحق يشره اليه اللئام ، ويكره عليه الكرام .

— يتقى الناس بعضهم بعضا فى الصغائر ، ولا يتقون الله فى الكبائر .

— الغنى مع الفقير فى كبد ، إذا منعه حسد ، واذا أعطاه حقد .

— بين الحلم والخور جسر أدق من الصراط .

— إذا صدقت النية فكل مذهب جميل ، وكل رأى أصيل .

— لايقع الملق إلا فى نفس غرير أو مغرور .

— من أخل بنفسه فى السر ، أخلت به نفسه فى العلانية .

— الجماعات مطايا أهل المطامع تبلغهم إلى منازل الشهرة .

شوقى